الغزل بين الحصري القيرواني والأعمى التطيلي (دراسة موازنة)

الباحث :علي جابر سعد

أ.م.د. شيماء هاتو فعل البهادلي

جامعة البصرة- كلية التربية للعلوم الإنسانية- قسم اللغة العربية اللغة العربية

ملخص البحث:

يعد شعر الغزل الأندلسي في عصري الطوائف والمرابطين صفحة مشرقة من الموروث الأدبي العربي الكبير ،فدراسة شعر الغزل فيه تتسم بالتميز والمتعة ، فتضمن البحث شاعرين مهمين احدهما مثَّل عصر الطوائف هو أبو الحسن الحُصَري القيرواني، والآخر مثَّل عصر المرابطين وهو الأعمى التطيلي ،فاستنطق البحث نقاط التوافق والاختلاف بين شعرهما الغزلي ، وأتبعت فيه المنهج التحليلي، فكلّ شاعرٍ عكس واقعه وشخصيته وعصره في شعره، فتتبع البحث نقاط التميز بين الشاعرين وبيّنها.

الكلمات المفتاحية : الحصري القيرواني .الأعمى التطيلي، الغزل، التوافق والاختلاف .

Courtship between Al Hasri Al Qeirwani and Al Aama Al Tateili
A Counterbalance Study

Researcher :Ali Jabir Saad

Asst.prof. Dr. Sheimaa Hatu Fil Al Behadly

Dept. of Arabic language , College of Education for Human Sciences,
University of Basrah

Abstract:

Andalusian courtship poetry, during Al Tawaif and Al Morabiteen eras, is considered a brightening art in Arabic literature. Studying such poetry is entertaining and specialty. The present study deals with two poets: the first belongs to Al Tawaif period who is Abu Al Hassan Al Hasri Al Qeirwani and the second represents Al Morabiteen period who is Al Aama Al Tateili. The research compares the similarities and differences between their poetic styles. The research adopted the analytic approach in that each poet reflects his own personality and the period features. Thus the research follows the defining features in both poets.

Key words: Al Hasri Al Qeirwani, Al Aama Al Tateili, similarity and difference .

المقدمة:

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين بالكرامات محمد المصطفى(صلَّى الله عليه وآله وصحبه الميامين الهداة).شعر الغزل في عصري الطوائف والمرابطين أخذ منحًى جديدا مُعبِّرا عن شخصية الشاعر وطبيعته وتأثير الظروف فيه،فعكس الشاعران الحصري القيرواني والأعمى التطيلي شخصيتهما وطبيعة عصرهما في شعرهما الغزلي،فاستعان بالمنهج التحليلي من خلال تحليل نماذج مختارة من شعر الغزل عندهما ،وبيّنت ظواهر التوافق والاختلاف في شعرهما،فوجدتُ تميزا لشاعر على الآخر،فقمتُ بحصر نقاط التوافق والاختلاف بينهما في خاتمة البحث، يُعرِّف البحث المتلقي على شاعرين غزليين مثّلا عصرين مختلفين ونتائج الموازنة الأدبية بينهما، وختم البحث بقائمة للمصادر والمراجع المعتمدة .

لمحات من الغزل عند الشاعرين:

يعد الغزل من أكثر الفنون الشعرية تداولا عند العرب منذ الجاهلية حتى عصرنا الحالي فهو يرتبط بطبيعة الإنسان وعاطفته الجياشة التي تحب الجمال وتقبل على مداعبته ،فتهيأ لشعراء الأندلس الجمال، والطبيعة الخلابة، وسبل الترف ، ومجالس الغناء والطرب والخمر، فأنتشر شعر الغزل وازدهر ولاسيما في عصر الطوائف، فكان من الشعراء الذين شغلوا الناس بغزلهم ابن زيدون وهيامه بولادة بنت المستكفي وغيرهم من الشعراء إذ برز الحصري القيرواني في ديوانيه المخمسات والمعشرات في النسيب اللذين كانا من أروع ما قيل في شعر الغزل فحملا بين ألفاظهما الرقة، والعاطفة، والخيال، ولوعة المحبوب وحرقته فهو يواجه الصد والهجران من المحبوبة ،فأخذ أسلوبا جديدا لم يُعهد عند سابقيه وهو الترتيب في ديوانيه بحسب حروف الهجاء فابتدأ من الهمزة إلى الياء وكان يعمد أن تبدأ أبياته بالحرف نفسه وتنتهي بالحرف الذي يليه وهذه قدره وتميز وربما حاول أن يجد لنفسه مكانة يضاهي بها ابا العلاء المعري في لزوم ما يلزم، فكلاهما له براعة في اللغة والشعر وسنبين تلك الملامح التي تميز بها الحصري القيرواني في شعره الغزلي ، فهو الرائد الأول في معشراته ومخمساته الغزلية فهو مبتكرها ومبدعها فتميزت ب ((متانة الأسلوب ،واشراقة ديباجة، وحرارة عاطفة بالرغم من القيود التي قيد بها نفسه بما يزيدنا إيمانا بتفوقه لا في الشاعرية فحسب ولكن بمعرفة اللغة وأسرار بلاغتها وقدرته على التصرف فيها)) [١].

إما عصر المرابطين فعلى الرغم من وجود الفقهاء والنهج الديني لكن نجد الأعمى التطيلي أخذ مجاله في شعر الغزل و هي ميزة تميزه عن صاحبه فلم يجد الظروف الملائمة كما وُجِدت في عصر الطوائف، فنجد أروع ما قيل في الغزل.

فاتكأت قصائده المدحية على المقدمات الغزلية وفعل كما فعل صاحبه بإشراك وصف الطبيعة والخمرة في غزله فأجاد وأبدع بل نجد له جدة وابتكارا في موشحاته الغزلية ، فيعد رائدها الأول في عصر المرابطين وسنبين جليا بعض النصوص المختارة من قصائده ومقطوعاته وموشحاته الغزلية وسنعقد موازنة أدبية بين غزلي الشاعرين، فالإجادة عنوانهما والجمال والطبيعة منبع خيالهما وصد المحبوبة ولد صورا شعرية جميله عندهما .

الغزل وهو فن الحب والجمال يرتبط بفطرة الانسان الذي جُبل على حب الجمال والتعلق . فيه فهناك علاقة وطيدة بين الإنسان والجمال علاقة تجاذب وتلاقٍ فالمرأة تشعر بعظمتها ومنزلتها وجمالها إذا تغزل الرجل بها كذلك الرجل يشعر بوجوده وكمال ذاته ،فالشعراء الأندلسيون لم يقف غزلهم على إنسانة معينة،بل تنقلوا به بين الفتيات تنقل الفراش بين الأزهار[٢]

الغزل يعني التغني بجمال المحبوبة وإظهار الشوق إليها ،والشكوى من الابتعاد عنها وهو فن يصف رقة المحبوب وجمال صفاته ومحاسنه ويظهر الشاعر مشاعره وعواطفه وأحاسيسه الجياشة نحو المحبوب وأغلب ما يكون صادقا في هذه المشاعر والأحاسيس ويعبر عن تجربة وجدانية صادقة (فأن الغزل يضل يحمل نبضا من أصالة طبعته بسمات الشاعر ، ومعاناته الوجدانية الخاصة وضعته في الاتجاه الذاتي الصحيح)[٣] فالشاعر يعبر عن ذاته في غزله فهو لا ينتظر استجابة لما يعاني من هجران وصد وشوق ولو لم يجد استجابة فهو مستمتع بما يحسه ويعبر تجاه المحبوب عن مبتغاه، فلغزل مشترك في كل الفنون الشعرية وهو الغالب عليها وسيدها .

وقد أبدع الشعراء الأندلسيون في الغزل فنجد آصرة قوية تربطهم بالطبيعة الخلابة وجمالها التي ميزت البيئة الأندلسية فالغزل والطبيعة وجمال المحبوبة ومحاسنها نجدها ملامحها حاضرة عند الحصري القيرواني والأعمى التطيلي ،فقد تميزا وبرعا في غزليهما فنجد الموهبة التي عوضهما الله بها عن فقد البصر بالشاعرية والذكاء والابداع والتفنن في صياغة المعاني وابتداع الصور الشعرية الخلابة للمحبوبة ، فكلاهما سار باتجاهين اتجاه مجدد في أسلوبه وسهولة ألفاظه، برزت من خلال ملامح الشخصية الأندلسية في غزلها وظهرت من خلال ملامح البيئة الأندلسي، والاتجاه الثاني، اتجاه تقليدي تأثرت فيه القصيدة الغزلية الأندلسية بالقصيدة المشرقية وبنيتها الفنية والموضوعية التي صاحبت الوقوف على الاطلال[٤] ونجد إنَّ الاتجاه التجديدي كان أكثر وضوحا وبروزا في شعرهما الغزلي ،فتميزت شخصيتهما الأندلسية من خلال شعرهما.

فالحصري القيرواني يستفهم وينادي بحسرة وشوق(داء المحب) مجيبا نفسه ،فعند الحبيب الدواء ،فنجد الحوار الممتع لإشراك المتلقي والسامع فاستعمل التصريع (دواء وشفاء)ليضفي على ألفاظه مسحة من الرونق والجمال و يستعين بالطبيعة وهي مصدر إلهام وتأثير في شعراء الأندلس لرسم صورة من نسج الخيال المبدع (اسود ،الشرى ،الظباء)ويصف نفسه بالأسد والمحبوبة بالظبية ، وهذه التشبيهات الجميلة تزيد أسلوبه بهاء وجمالا ورونقا قائلا: [٥]

أمالك يا داء الـــمُحبِّ دواءُ ... بلى عـند بعض الـناسِ منك شفاءُ
أسير العدا بالمال يفديه أهلهُ ... وما لأسير الـغانيات فداء
اسود الشرى في الحرب تحمي نفوسها ... بنجدتها ما لم تَعنَّ ظباء

يؤكد الحصري القيرواني شوقه فيستعمل حرف الشين ويكرره أربع مرات ويستعين بالجناس وهو لا يقصد منه الزينة اللفظية بمقدار ما يقصد الشاعر توظيفه لخدمة المعاني التي أراد إبرازها[٦] وليضفي جمالا على إيقاع ألفاظه (اشتياقا ،شقوتي ،العاشقين ’شقاء) مؤكداً لوعته وحبه لوصفه عيني المحبوبة وجمالها وتأثيرهما فيه قائلا[٧]

أموت اشتياقا ثم أحيا لشقوتي كذاك حياة العاشقين شقاء
إليك فلو ذقت الهوى لعذرتني جفونك وسنى والفؤاد هباء
أصابت فؤادي أسهم اللحظ إذ رمت فللّه قتلى الأعين الشّهداء

الحصري القيرواني تميز غزله بصدق العاطفة وحرارتها ورقة العبارة ورونقها فكان يتخير لشعره أعذب الألفاظ وأرق المعاني فتنساب أشعاره إلى المتلقي والسامع انسيابا لحسن وقعها وحلاوة تنغيمها، فانتهج في مخمساته ذات الخمسة أشطر نهجاً مميزاً خاصاً به، فتميزت بالطراوة و العذوبة والرقة والإتقان والبراعة باستعمال الفنون البلاغية التي تزين شعره، وتجعله يلج قلب السامع والمتلقي ويسلب إعجابه، فوجدناها من الملامح المشتركة عند الشاعرين.

وتميز الحصري القيرواني باتّكائه على المحسنات اللفظية والمعنوية في شعره من تصريع وجناس وطباق وموازنة ليزيد من جمال ألفاظه وحلاوتها ووقعها المحبب في إذن السامع والمتلقي ولتقوية معانيه وكثافتها وهي ظاهرة مشتركة وجدناها عند الشاعرين ومن مخمسات الحصري القيرواني نلمح فيها التصريع (أرائي، الشهداء) وتكرار ياء المتكلم أربع مرات ليبين لوعته من صد المحبوب وهجره فيبرز صوته عاليا (أرائي، عزائي، سمائي) ليصل إلى قلب السامع والمتلقي قائلا:(٨)

أبثُّك ما في النفس لستُ أرائي إنا بعض قتلى حُبِّك الشهداء
الفت ألبكا إذ عز فيك عزائي إلى أن بكت ارضي معي وسمائي
وإنّي لراضٍ عنك في هذه الحال

فتميز الحصري القيرواني بغزارة شعره الغزلي عن الأعمى التطيلي و بترتيبه وعدد مقطوعاته بدوانيه، فيأتي غرض الغزل بعد غرض الرثاء ثانيا عند الحصري القيرواني أمّا الأعمى التطيلي فيأتي شعر الغزل ثالثا بعد المديح والرثاء، فتميز الحصري القيرواني بقصيدته(ياليل الصب)التي ذاع صيتها واشتهرت بروعتها وعارضها القدامى والمحدثون وهي تبدأ بمقدمة غزلية من ثلاثة وعشرين بيتا من أجمل ما قيل في الغزل أمّا الأعمى التطيلي فتميز بقصيدتين من شعر الغزل في حب جارية اسمها (لذيذ) وهو يعد من أبرز وشاحي عصر المرابطين خاصة والأندلس عامة وموشحاته تكاد تكون أغلبها غزلية بلغت ثلاثاً وعشرين موشحة ذاع صيتها ومنها موشحته المشهورة (ضاحك عن جمان) مقابل موشحة واحدة غزلية وجدناها في ديوان الحصري القيرواني.

فكلاهما كان شعره في الغزل يسير باتجاهين الغزل بالمرأة والغزل بالغلمان وهذا ما سنبينه في نماذج شعرية مختارة لكليهما والغزل بالمرأة تمثل بالعفيف والحسي وغزل الغلمان والجواري.

فكلاهما كانت له مقدمات غزلية في قصائدهما المدحية لكن الأعمى التطيلي تفوق على صاحبه في تلك المقدمات التي بلغت أكثر من اثنتي عشرة مقدمات غزلية ولم نجد إلا واحدة مميزة ورائعة في مقدمة قصيدته المدحية (ياليل الصب)عند القيرواني .

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية العدد ٤ – المجلد ٤٥ – كانون الأول السنة ٢٠٢٠

تعد مقدمة قصيدة يا ليل الصب من أروع ما قيل في الغزل فقد شغلت الأدباء والملحنين والمغنين والسبب فـــــــــــي ذلك هو حب الناس لهذا الكلام فيقع وقعا خفيفا على الأذن وتستقبله النفوس بارتياح[٩] فتلقفها الشعراء يعارضونها ويقلدونها في معانيها وبحرها وتميزت قصيدته برقة ألفاظها وعذوبة معانيها والوزن النغمي الرخيم على بحر الخبب الذي أحسن اختياره فموسيقاها الشعرية ورونقها جعل نجمها يعلو السماء وعُرف صاحبها عبر التاريخ فما زال الشعراء إلى الآن يعارضونها ومقدمتها الغزلية تتألف من ثلاثة وعشرين بيتا وهذا البحر الذي تفرد به الحصري القيرواني وهو بحر الخبب وتفعيلته فعلن ثماني مرات – فلم نجد عند الأعمى التطيلي علي وزن هذا البحر قصيدة –فمزج بين وصف الطبيعة وجمالها وحسن المحبوبة ورقتها وروعة الخمرة ومجالسها فنسج لوحة فنية ألوانها أخذت من جمال الطبيعة والمحبوبة، فابتدأها يشكو الليل وهي عادة المحبين فليلهم سرمد طويل حتى النجوم رقت لحاله ويأتي ينصب للمحبوبة فخا في خياله عسى أن تأتيه في الطيف ويصف جمالها فهي تتمايل من رشاقتها ونعومة خصرها هيفاء كالدمى في جمالها وكمال أوصافها ولم يخرج الحصري القيرواني بغزله عن عادة العرب بوصف المرأة بالرقة وجمال الخصر وثقل الأرداف فينادي (ياليل)لشدة أرقه وشوقه ثم يستفهم متعجبا (أقيام)،فيتكأ على صوته وإيحاءاته ليصل إلى مبتغاه فيشرك الطبيعة وجمالها بغزله (ليل ،النجم ،بغزال)فيرسم بألفاظه كأنه فنان قائلا"[١٠]:

ياليل الصب متى غده	**أقيام الساعة موعده**
رقد السمار فارقه	**أسف للبين يردده**
فبكاه النجم ورق له	**مما يرعاه ويرصده**
كلف بغزال ذي هيف	**خوف الواشين يشرده**
نصبت عيناي له شركا	**في النوم فعز تصيده**
صنم للفتنة منتصب	**أهواه ولا أتعبده**
صاح والخمر جنى فمه	**سكران اللحظ معربده**

إشراك الطبيعة والخمر بغزله فنسج لوحة جميلة بكلماته المتقنة فإشراك الخيال والطبيعة بألوانها وصفات المحبوبة (الحصري تكلم عن طول الليل، وطيف الخيال، وخمر الرضاب، وسيف المقلة، وجناية العين، وحمرة الخد، واستعطاف الحبيب، وفناء المحب)[١١] **صاح والخمر جنى فمه سكران اللحظ معربده**

وقد أعجب النقاد والشعراء بهذا البيت وأشادوا فيه ووصف رضاب المحبوبة بطعم الخمرة ورائحتها وتلك ظاهرة مشتركة عند الشاعرين ونجد هذه المقدمة الغزلية حاضرة عند الأعمى التطيلي وقد أبدع فيها وهو يمزج الغزل بالطبيعة والخمرة وتميزت مقدمته برقة الأسلوب وعذوبة الألفاظ وجمالها ورونق المعاني وحلاوتها التي تتناسب مع الطبيعة الأندلسية وجمالها الأخاذ.

أما الأعمى التطيلي فقد مزج بين الغزل والطبيعة والخمرة في إحدى مقدماته الغزلية الخمرية فنسج صورة إبداعية متنوعة الألوان بين صفات المحبوبة وجمالها ومتعة الخمرة ومجالسها الزاهية في أحضان الطبيعة الخلابة،فأخذ خياله يرسم لنا صورة مشهد إبداعي مجسد بألفاظه الموحية المعبرة وبألوان

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤ – المجلد ٤٥ – كانون الأول السنة ٢٠٢٠

الطبيعة الزاهية لوحة من الجمال الأندلسي ولحظات الإنس في أحضان الطبيعة، فيشركنا معه في خياله ومعركته مع الغنج الساحر، فأبدع في وصفه فأجاد في توظيف معانيه بإيحائية صوتية وتعبيرية جمالية تشهد له بالتفوق والتميز ،فنجده يوازن بين الخمرة وصفات المحبوبة فنجد الإمتاع المحبب في أسلوبه(أريق ثغرك، بنت الزراجين) فيشرك الحواس الذوقية والشمية والبصرية (أريق، مسك، بارق) فيضفي الجمال على صوره الشعرية، فنلمح الإبداع وسعة الخيال والبراعة في إيصال الصور الشعرية الإبداعية للمتلقي والسامع قائلا(١٢)

أريقُ ثغرك أم بنتُ الزراجين* وعرف نشرك أم مسك بدارين*
ولحظك الغنج السحار أم قدر أم ذو الفقارمضى في يوم صفين
وثغرك الشنب* الوضّاح أم برد أم بارق من رضاك اليوم يثنيني
وماء خدك أم خمر بكاس مها* يروق في حسن إشراق وتلوين

وبعد عرضنا أنموذجين من المقدمات الغزلية بين الشاعرين، فسنبين اتجاهات شعر الغزل عندهما.

أولا: الغزل العفيف عند الشاعرين

وهو الغزل الذي يخلو من ذكر صفات المرأة الحسية الفاحشة إذ يعبر الشاعر عن أحاسيسه وعواطفه بعفة ويبين صد المحبوبة وشوقه إليها وهو ما يطلق عليه العفاف عند المقدرة.

فنجده عند الشاعرين كليهما فيتحدثا عن الصد والهجر الذي يعانيه العاشق من معشوقته وسنبين اللوعة والصد عندهما من خلال نماذج مختارة من شعرهما.

الحصري القيرواني تميز باهتمامه بسبك شعره وتزينه بالمحسنات اللفظية والمعنوية من التصريع والجناس والطباق التي جعلت في شعره نكهة خاصة تعبّر عن شخصيته ومكانته وخبرته في علوم البلاغة وأسرارها، فيضفي الجمال على شعره بحسن تخيره الألفاظ ووقعها في أذن المتلقي والسامع ،فتصريعه المحبب(يمزح، ينزح) والإيحاء الصوتي التعبيري الإيقاعي بتكرار حرف الحاء عشر مرات ليبين فيه لوعته وحسرته من صد المحبوبة وهجرها واشتياقه لها مستعينا بياء المتكلم التي تدل على ذاتية ألمه من صد وهجر المحبوبة (بي، عيني، كموتي، تمسي، قلبي) ولتأكيد معنى شوقه استعان بالطباق (حياتي/موتي، تمسي/تصبح) فبيّن شوقه بألفاظ واضحة سهلة بينة ومعانٍ قريبة للمتلقي والسامع قائلا": (١٣)

حبيبٌ يجُّد الشوق بي وهو يمزح حرام على عيني الكرى حين ينزحُ
حياتي كموتي لا بل الموت أروح حروب الهوى تمسي عليّ وتصبحُ
تغير على قلبي وصالح أعمالي

أما الأعمى التطيلي فشعره تميز بشدة الحسرة والألم وعمق العاطفة وصدقها وحرارتها فامتزج غزله بشكواه ممّا كان يعانيه من ضيق الحال وعسره فنتج شعرا ينضح بالشكوى الغزلية من الصد والهجر فاستعان الأعمى التطيلي بالمحسنات اللفظية والمعنوية لتزين شعره من تصريع وجناس وطباق ،فنجده كرر حرف الهاء اثنتي عشرة مرة مع حرف المد الواو ليبعث إيحاء" تعبيريا صوتيا عن الآهات واللوعة من صد المحبوبة وفراقها، فيناديها (يا لوعة) معبرا عن اشتياقه وولعه فقد اتكأ على صوته وعلوه ليبن للمتلقي حبه

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤ – المجلد ٤٥ – كانون الأول السنة ٢٠٢٠

وشوقه لفراق المحبوبة قائلا" (١٤)

هو الهوى وقديما كنت أُحذرهُ السّقم موردهُ والموت مصدرهُ
يالوعةً هي أحلى من منى أملٍ الآن اعرف شيئا كنت أنكره
جد من الشوق كان الهزل أوله اقلّ شيء إذا فّكرت أكثره
ولي حبيبٌ وإنّ شطّ المزارُ به وقد أقول نأى لولا تذّكره.

تفوق الحصري القيرواني بوفرة شعره بالغزل وله ديوان المخمسات والمعشرات ومقدمة غزلية واحدة مميزة قصيدته (ياليل الصب) لكن الأعمى التطيلي تفوق بمقدماته الغزلية التي بلغت أكثر من اثنتي عشرة مقدمة غزلية كانت من أروع مقدمات الغزل لغة ولفظا ومعنى وقد أشرك فيها الطبيعة والخمرة وسحر المحبوب وجماله وشوقه إليه وهو يصف شوقه قائلا (١٥)

أما والهوى وهو إحدى الملل ْ لقد طال قدك حتى اعتدلْ
وأشرق وجهك للعاذلات حتى رأتْ كيف يعصى العذلْ
ولم أر افتك من مقلتيه على أنّ لي خبرة بالمُقلْ
كحلتهما بهوًى قاتل وقلت الهوى ختله في الكحلْ

وهناك ظاهرة بارزة في غزلهما فكلاهما تغزل بسحر العينين وجمالهما الفتاك الذي أسر القلوب وأبهر العقول ،فهما يشكيان ما حلَّ بهما وهذا الحصري القيرواني يصف سحر العينين وجمالهما.

فهي كعيون بقر الوحش والظباء بالرغم من ضعفهما لكنهما يسرقان قلوب الأقوياء:(١٦)

شعاري ضنى جسمي وجمر الغضا فرشي شفائي بلحظ العين من أعين الوحش
شوادن يصرعن الأسود بلا غشٍّ شواردُ إلّا أنّها بيننا تمشي
وسيَّدها ذو الخال غاية امالي

وقد وصف العيون وأبدع في وصفها الأعمى التطيلي فنجده أكثر جمالا وروعة في غزله ورقة أسلوبه ورونق عباراته وقد اتكأ الشاعران على الخيال واطلاعهما على الموروث الشعري فنجد المعاني نفسها صيغت بقوالب جديدة وهي مستوحاة من التراث الشعري للمشارفة ونلحظ أنّ الأعمى التطيلي قد تفوق على صاحبه في براعته وحسن ذوقه ووضوح معانيه في غزله

قائلا":(١٧)

مالي وما للأعين النّجل اجمعن عدوانا على قتلي
وما لقلبي يتصدى لها بين اليم الشوق والخبل
من لحظات لم يزل غُنجها لحكم بالجور على العدل
ضعيفة المكر ولكنها تقتل بين الجدِّ والهزل
لله كم يطمع تفتيرها لو إنها تسمح بالبذل

لا عجب أنْ نلمح جمال الطبيعة ممتزجاً مع جمال المحبوبة عند الشاعرين فهو احد سمات شعر الغزل الأندلسي المميزة فهما فنانان يرسمان بالكلمات لوحات شعرية ألوانها جمال الطبيعة والمحبوبة.

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤ – المجلد ٤٥ – كانون الأول لسنة ٢٠٢٠

فهناك صفات مشتركة بينهما فيصفون المرأة بغصن البان وعيونها بعيني الغزال وخدودها بالورد والحصري يعوض عن بصره بحاسة الشم والريح تجذب عطرها الفواح وفي البيت يصف جمالها فهي تشع نورا كالسراج ويصف الخدود بالورد والعيون البابليات الجميلة بالنرجس قائلا:(١٨)

سلامٌ على الأحبابِ تفتقهُ الصّبا كما فُتق المسك الزكيّ التنفّس

سناها سِراجي والخدودُ شقائقي وتلك العيون البابليات نرجسي

وفي أبيات اخرى للحصري نرى صورة الطبيعة المتحركة بريشة فنان يرسم بالكلمات وهي تداعب أحاسيسه وترهفه:(١٩) **ضواحكُ أزهار وأعينُ نرجسٍ أشارتْ بألحاظٍ إلى مراضِ**

ضُحى وردٍ خدِّيه يعودُ بنفسجاً إذا ما اجتناه عاشقٌ بعضاضِ

ولعل الأعمى التطيلي يشارك الحصري القيرواني بنسج جمال الصور وإشراك الطبيعة الأخاذة في شعره وتلك الألفاظ المشتركة التي تداولها الشعراء حاضرة عند الشاعرين (الظبي ،الغصن،،الورد...الخ)من ألفاظ الغزل والخمرة وأوصافها حاضرة في شعر الأعمى التطيلي أكثر من الحصري القيرواني قائلا(٢٠)

شرَّد عن جفني لذيذ الكرى ظبيٌ شرودٌ شاردُ الوصلِ

وسنانُ ناهيك بأجفانه على الهوى من شاهدي عدلِ

سالت على ألحاظه كحلة واخجلتي من خجلة الكحل

اذا أدارت بيننا خمرها قامت لنا خدّاه بالنقل

غصن سقته رية ادمعي أغنته عن طلّ وعن وبْل

ومن شعرهما نجد أنّهما سارا على ما سار عليه شعراء الأندلس والمشارقة قبلهم ولكن بنكهة مميزة اتكأت على الخيال والإبداع وحسن الصياغة وجمال المعاني فلكل شاعر ظروف مرَّ بها وأحاسيس عبّر عنها. والأعمى التطيلي كصاحبه له ريشة فنان يرسم بالكلمات لوحاته وإبداعه فالطبيعة المتحركة وجمال المحبوبة رسم لنا لوحة فنية قائلا:(٢١)

وقدٌّك الناعمُ الريانُ أم غُصُنٌ يميسُ ليناً على كثبان يبرينِ

إذا انثنى وهفا مرٌّ استوحيا صور فأين منه قضيبُ البانِ في اللينِ

نلحظ أنّ الشاعرين استوحيا صور الجمال من الطبيعة وجمالها فهي مصدر الهام لشعراء الأندلس التي وهبها الله لهم،فكلاهما له القدرة على تجسيم المعاني ورسم الصور المعبرة عن الغرض المنشود فقد عوضهما الله بالخيال الواسع والذكاء والإحساس المرهف.

ثانيا: الغزل الحسي عند الشاعرين

إنّ البيئة الأندلسية وجمالها الساحر وانتشار مجالس اللهو والغناء وشرب الخمر وكثرة الجواري والغلمان والاختلاط مع الاسبانيين والتحرر الذي شهدته البلاد الأندلسية ساعد على انتشار شعر الغزل الحسي وقد تعرضا بغزلهما الحسي لمفاتن المرأة ومحاسنها وقد وجدنا الفحش في غزلهما الحسي ، وقد سارا على نهج السابقين((وهو وصف التفت فيه القدماء إلى المحاسن الجسدية أكثر من التفاتهم إلى المحاسن المعنوية))(٢٢) وهو التغزل بصفات المرأة الجسدية وجمالها والتفنن بإبراز مفاتنها ويُسمّى عادة بالغزل الفاحش .

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤ – المجلد ٤٥ – كانون الأول لسنة ٢٠٢٠

فالطبيعة الفطرية للإنسان الذي جُبل على حب إشباع رغباته عامة والجنسية خاصة ، فالشاعر إنسان حساس يحتاج المرأة جسدا وروحا فهي السكن كما وصفها القرآن فالعامل النفسي لإشباع غرائزه او حبه للجمال والتغزل به وبيان مفاتنه ،أو عامل اجتماعي وهو انتشار الغزل الماجن في المجتمع ورواجه في الأدب الأندلسي ونحن نتكلم على الشاعر الفاقد للبصر الذي هو كتلة من المشاعر والأحاسيس المكبوتة التي ولّدها الحرمان وفقد الأمان والشكوك بمن حوله وشعوره بالنقص فيحاول إبراز نفسه وتعويض نقصه بالتميز بشعره ولا سيما ما مرَّ به الشاعران .

فالحصري القيرواني تركته زوجته وغدرت به ورحلت عنه وظل يحبها حبا لا يُوصف ويتغزل بمفاتنها الجسدية والروحية، أما الأعمى التطيلي فقد أحب زوجته الأولى آمنة ورثاها وبين مكانتها فهي السكن والروح وأبرز مفاتنها وجمالها وكان بارعا في المقدمات الغزلية التي أشرك وصف الطبيعة والخمرة بشعر الغزل وله ثلاث قصائد بجارية اسمها (لذيذة) وهو يصف جمالها ومحاسنها وقد تميز بالحوار الغزلي (القصة الغزلية) وسنبين القصة الغزلية والحوار عند الشاعرين ومميزاته.

كلاهما أشرك وصف الطبيعة بغزله الحسي ولم يتحرج من ذكر محاسن المرأة ومفاتنها وهو يستعين بحاسة اللمس والذوق وهو تجسيم للمعاني لتكوين صوره الحسية وهو أسلوب إيحائي تعبيري يتّكىءُ فيه على الحوار(فقالت) ليضفي الجمال والمتعة على شعره وإشراك المتلقي والسامع فالحوار يكون قريباً للقلوب محبباً للنفوس ويمزج الطبيعة وثمارها(رمانتاها، القطاف)بجمال المحبوبة ومفاتنها فينسج صورة إبداعية حسية بصرية ملونة بألوان الطبيعة الزاهية قائلا:[٢٣]

ولما أينعت رمانتاها ونادى الوصل حي على القطاف

تأذت فيهما بفمي فقالت شمائل عاشق وفعال جاف

ويتفنن الحصري القيرواني وهو يصف ثقل الأرادف، ونعومة الخصر، وسحر العينين وهنا تصريح إيحائي تعبيري بصري حركي يفصح فيه عن مفاتن المحبوبة ومحاسنها قائلا: [٢٤]

ثلاثٌ سلبن القلب حسن عزائهِ وألبسنني ثوبي خليعٍ وناكثٍ

ثقالة ردفيها، ورقة خصرها وسحرُ العيونِ القاتلاتِ البواعثِ

أما الأعمى التطيلي فكان لا يخلو شعره من الأوصاف الحسية والجسدية للمحبوبة ومجالسه معها وهو يتّكىءُ على خياله الواسع في وصف ذات الخال ولياليه معها وكأنه يعيش مغامرات امرئ القيس مع محبوبته ونجده استعان بالموروث الشعري ، متكئاً على الإيحاء الصوتي التعبيري بقوله (يا وصل، يا لذ) وهو نداء تنبيهي ثم استفهام تعجبي محبب بقوله (هل تذكرين) فهذا الإمتاع التعبيري الصوتي المحبب مع التصريع وتأكيده (مرجع) في العروض والضرب ،فالحوار الغزلي والتجاذب المحبب يضفيان مسحة من الجمال والإبداع والإمتاع ومشاركة المتلقي والسامع الأحداث (لا أنت باخلة، ولا أنا أمنع) والتشبيهات الحسية البارعة(أصفر مرهف، ممشوق القوام) فنسج صورة موحية بارعة قائلا:[٢٥]

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤ – المجلد ٤٥ – كانون الأول لسنة ٢٠٢٠

يا وصل ذات الخال هل من مرجع هيهات ليس لما تولى مرجعُ
يا لذّ ما أدري وقد ودّعتني من أي شيء أتقي أو أجزعُ
هل تذكرين لياليا بتنا بها لا أنت باخلة ولا إنا أمنعُ
اثني عليك وكل اصفر مرهف لهواك يعنو او لحمدك يضرعُ
من كلِّ ممشوق القوام تخالُهُ وكأنَّه بين الأصابع إصبعُ

وهي الصفات نفسها عند الحصري القيرواني ، حسن القوام وثقل الإرداف، وسحر العيون وجمالها وكلاهما أخذ وطره من المحبوبة، الحصري كان أكثر مبالغة في أوصافه الحسية ولكن الأعمى التطيلي وظف الطبيعة والخمرة في غزله أكثر من الحصري القيرواني فأخذ يرسم بألفاظه لوحة تعبيرية إيحائية استوحى ألوانها من الطبيعة الخلابة وجمالها ، فمزج بين جمال المحبوبة والطبيعة فأخذ يداعب بتشبيهاته مفاتن محبوبته ومحاسنها فمزج بغزله بين المادي والطبيعي (قدك الناعم ، غصن يميس)فنلمح صورة حركية إيحائية تعبيرية جميلة يشترك بها مرور النسيم، وقضيب البان، ونلمح التنغيم الإيقاعي بتكرار حرفي المد الألف والياء مع النون (الناعم ، الريان،لينا، كثبان ،يبرين ،البان،اللين ،أفانين) ليضفي مسحة إيقاعية غنائية محببة في أذن المتلقي والسامع إذ يقول الأعمى التطيلي:(٢٦)

وقدُّك الناعمُ الريانُ أم غُصُنٌ يميسُ ليناً على كثبانِ يبرينِ
إذا انثنى وهفا مرُّ النسيم بهِ فأين منهُ قضيبُ البانِ في اللينِ
أضحت يدُ الحُسن في ديباجِ وجنتهِ تنمنمُ السحرَ منها في أفانينِ

فأبدعا بأوصافهما الممتزج بالطبيعة وجمالها الخلاب وسحرها الأخاذ.

ثالثا :غزل الغلمان والجواري عند الشاعرين

انتشر غزل الغلمان والجواري في الأندلس بسبب انتشار مجالس اللهو والطرب والغناء ومجالس شرب الخمر في القصور والأماكن العامة ولعل الغزل بالغلمان والجواري لم يكن جديدا على عصري الطوائف والمرابطين ولكنه أخذ المسار الذي سار عليه الشعراء السابقون من المشارقة والأندلسين وهي الصفات الحسية نفسها صيغت بأفكار وقوالب شعرية أضاف إليها الشاعران نفسِهما الشعري وإحساسهما المرهف وبراعتهما في الصور الشعرية وأوصافها.

يقول الحصري القيرواني متغزلا بغلام اسمه هارون وقد فتنه فتونا وسحره بجمال عينيه ورشاقة قوامه وهو يستعين بالصفات نفسها التي يصف بها المرأة المعشوقة ويقول انه يشبه الملاك الذي سحر أهل بابل، فيمزج بين الطبيعة والجمال الغزال وعينيه فيتكئ على التعبير الإيحائي الصوتي فينادي(يا غزالا)مستعيناً بالجناس ليضفي جمالاً ورونقاً على شعره(فتن/فتونا.)وتكرار حرفي المد الألف والنون مع الياء (الناس، بعينيه، فتونا، نونا) ليضفي على شعره مسحة إيقاعية جمالية تعبيرية غنائية حيث يستهدف أتقان الصورة وعذوبة الموسيقى(٢٧) قائلا: (٢٨)

يا غزالا فتنَ النا سَ بعينيهِ فُتونا
أنت هاروتُ ولكن صحفوا تاءك نونا

كانت المبالغة حاضرة في غزل الغلمان والجواري عند الأعمى التطيلي وفي إحدى مقدماته الغزلية فهو يريد مداعبة الغلام وبيان جماله وحسنه ومن ظفر به لا يبالي ملك فارس أو الروم ويصف ساقي الخمر وثغره الجميل وخده البهي فيطلق الأعمى التطيلي العنان لخياله الواسع ليمزج بين مجالس شرب الخمر ووصف ساقيها بأعذب الأوصاف وأرقها فنلمح نشوة الخمرة في شعره من مبالغته وتشبيهاته ويمزج بين طعم الخمرة ونشوتها ورضاب المحبوب وجماله قائلا(٢٩)

ما يُبالي مَن بات يلهو به إنْ لم ينلْ مُلك فارسٍ والرومِ
قمتُ أسقيه من لمى ثغره العذ بِ على صحنِ خدِّه المرقومِ

تميز الأعمى التطيلي بمزج غزله بالطبيعة ووصف الخمرة ومجالسها وسقاتها فيضفي الجمال بتشبيهاته الجميلة (كالشمس ،كالغصن ،كالريم) مازجا بين الطبيعة وجمالها و الخمرة ومجالسها وساقيها المليح، فيصف غلاما قائلا(٣٠)

وبديع الأوصاف كالشمسِ يةً كالغصن في النَّقا كالريمِ
سُكّريُّ اللمى وضيء] المحيا يستخُفُّ النفوس قبل الجسومِ
مُتهدٍّ إلى الحلوم بلحظ رُبّما كان ضلّة للحلومِ

ووجدنا عند الحصري القيرواني المعنى نفسه وهو يمزج بين جمال الطبيعة وصفات المحبوب ومتعة مجالس الخمرة ونشوتها ،قائلا(٣١)

لمى شَفَةَ المحبوب أو وردُ خَدِّهِ مدى أملي لو تّم لي ما أومِّلُ
لعمري لو قّبلته كيف أشتهي لأعطيتُهُ دنياي لو كان يقبلُ
لهوت به لهو التَّريف بكأسه يُولَّى بتوقيع المدام ويعزلُ
لساني حلو وهو أحلى لو انَّهُ يعلُّ بسلسالٍ الرّضاب وينهلُ

يتّكىءُ الحصري القيرواني على الخيال الواسع والطبيعة الخلابة ومجالس الخمرة ونشوتها ليرسم صورة إبداعية لمغامراته الغزلية مع الجواري والغلمان فجمال الطبيعة والوجه الحسن ومجالس الخمرة تلهم الشاعر وتشعل أحاسيسه ومشاعره وتلهب قريحته ،فنلمح المزج عند الشاعرين بين طعم الخمر ورضاب المحبوب وحلاوته ووصف لمى شفة المحبوب وسمارها، فنجد التعبير الإيحائي الصوري الحسي الحركي مشتركا عند الشاعرين تميز الأعمى التطيلي بحب جارية اسمها لذيذة لقّبها بأم الوفاء قال فيها أروع مغامرات وقصص الحب .فمن شعره يتبين لنا أنّه أحبها حبا صادقا نقيا فيه لوعة وشوق فعبر عن حبه بألفاظ سهلة واضحة و أسلوب استعطافي حزين(يالذ'ياقلبي ،رفقا بقلبي)يجذب المتلقي والسامع ويشعره بحرارة عاطفته وصدقها قائلا (٣٢)

يا لذُّ مالكِ في قتلي بلا سببٍ وأنتِ سؤلي في قُرب وفي بُعُـــــد
رفقاً بقلبي يا قلبي فإنكِ قد أسكنت حيثُ الأسى في اللّب والخُلُد
لم تنطقي قط إلا ظلت أفرق من أن أستطار فلم ابدىء ولم اعد

للأعمى التطيلي ثلاث قصائد في غزله تميزت بصدق العاطفة وعمقها وروعتها، أخذت منحى الحوار

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية العدد ٤ – المجلد ٤٥ – كانون الأول لسنة ٢٠٢٠

الغزلي الممتع،

رابعا: القصة الغزلية عند الشاعرين

ومن الملامح المهمة عند الشاعرين في شعر الغزل السرد والحوار الشعري الغزلي فقد اكتملت ونضجت عندهما جميع مكونات القصة من زمان ومكان وشخصيات رئيسة وثانوية وحتى الراوي الذاتي الموضوعي الشاعر تجد عطره وهو يسرد لنا مجالسه ولهوه فيقول الحصري القيرواني وقد حدد المكان (مجلس اللهو) والزمان (الليل)والشخصية الرئيسة(المحبوبة) والبطل(الشاعر):(٣٣)

قالتْ وهبتُك مهجتي فَخُذ ودع الفراشَ ونَمْ على فخذي
وثَنَت إلى مثلِ الكثيب يدي فأجبتُها نعم الأريكةُ ذي
وهممت لكن قال لي أدبي بالله من شيطانها استعذ
قالت عففت فعفت، وقلتُ لها مُذ شبتُ باللذاتِ لم ألذِ

وهذا السرد الممتع قصده التلهية وإمتاع المتلقي وله حوارات سردية عديدة تميزت بقصر الحوار القصصي عند الحصري القيرواني مع محبوبته فلم نجد الحبكة واكتمال عناصر الحوار من شد وجذب والنهاية المشوقة التي تميز بها الأعمى التطيلي فقد لجأ الحصري القيرواني إلى الحوارات القصيرة التي نسجها من وحي خياله المبدع يبين فيها أنّه هو مَنْ تبكي المحبوبة لأجله وتريده وتسعى لنيل حبه(قالت وهبتك مهجتي، نم على فخذي) فيتبع أسلوب الشاعر الأمؤي عمر بن أبي ربيعة الذي تلاحقه الفتيات ومنها قوله:(٣٤)

رُدِّي حُشاشة عاشق مهجور بين الملوم عليك والمحذورِ
للّؤلؤ المنظومِ في فمك انبرتْ عبراتُهُ كاللؤلؤ المنثورِ
فبكتْ بنرجسيتين خفتُ عليهما نَفسي فلم ألثم بغير ضميري
قالت:أترحلُ والأحبةُ هاهنا قلتُ:القضاء كما علمتِ ضروري
قالت متى الرُجعى،فقلتُ إذا انتهى مقدورُ ربِّ مقِّدر المقدورِ

وهذا الحوار الغزلي يجمع الحبيب بالمحبوبة ويبين شخصية الشاعر وقدرته على صياغة هذا الحوار وامتلاك زمام الموقف ففيه تشويق ودعوة إلى المتابعة والتسلسل بالأحداث إذ يفرض الشاعر شخصيته.

أبدع الأعمى التطيلي بالقصة الغزلية القصيرة إذ اكتملت كل جوانبها من شخصيات وأحداث وزمان ومكان وحوار متقن أجاد فيه .فكان أكثر براعة من صاحبه الحصري القيرواني بل يعد من أبرز مَنْ عالج هذا اللون الشعري في عصر المرابطين ((هذا من الغريب أن يعالج هذا اللون الشعري في عصر المرابطين شاعران من فاقدي البصر،هما الأعمى التطيلي وابوعبدالله بن الفراء))(٣٥) والأعمى التطيلي يتميز عن الحصري القيرواني بطول الحوار في قصته الشعرية الغزلية فله قصيدة تتكون من ثلاثة وثلاثين بيتا يسرد فيه الشاعر قصة حبه مع قينة تُدعَى لذيذة التي كنّاها الشاعر بأم الوفاء وتتدخل بالحوار الشعري الغزلي شخصية مهمة هي أم المجد التي تكون واسطة بين الحبيب والمحبوبة بعدما شكا لها حبه ولوعته وقد استطاعت أن تلين قلب لذيذة وتجعلها تقبل بحبه ووصاله: (٣٦)

أشقى بها وهي علّي في بلهنية شتان،والله بين الجد واللعب

ونجد الشخصيات تتجاذب الحوار بينها فكانت القصة الشعرية الغزلية أكثر حبكة وتشويقا ونسجاً مما رأينا عند الحصري القيرواني فقد أبدع الأعمى التطيلي في الأحداث والتسلسل السردي الممتع والشد والجذب للوصول إلى الذروة والحبكة فنجد عناصر القصة الفنية قد اكتملت عند الأعمى التطيلي وهو يسرد لنا مغامرته الغزلية بحبكة وإتقان، فالشخصيات الرئيسة المعشوقة (لذيذة) قائلا: (٣٧)

أيا لذيذُ ولا والله مُذْ حُجبتْ عنّي لعيني في اللذاتِ من أ ربِ

فالزمان(وقت المغيب) الغروب والمكان وجدته أسير الحب متأمل الغروب جالساً قُرب بيتها والشخصية البارزة التي أدت دوراً مهماً في أحداث القصة هي (أم المجد) فكان لها دور الوساطة في نقل أشواق الشاعر وأحزانه بعد ما نجحت في إقناعها لنقل شكواه وحبه.

فوجدنا الشاعر الراوي الذاتي الموضوعي الذي يتحكم بأهم عناصر القصة و الحدث المتنامي الذي يبدأ معقدا فيه (عقدة) ثم يزداد حبكة وتشويقا ثم يبدأ بالانفراج على يد أم المجد التي ما انفك العاشق يقبل يديها فكانت نهاية القصة سعيدة مفرحة لكي يشعر المتلقي والسامع بالإمتاع والسعادة .

فقد أجاد الأعمى التطيلي في حبكة الفن القصصي مُتكئاً على خياله الواسع الزاخر بنقل أشواق المحب وأحاسيسه ولوعته وصد المحبوبة وتمنعها قائلا(٣٨)

لما التقينا وقد قيل المساءُ دنا وغابتِ الشمسُ أو عادتْ ولم تغب
تأمّلتني أم المجد قائلةً بمن أراكَ أسيرَ الوجدِ والطَّرب
فقلت قلبي مسبي وإنك لو كتمت سري لم أكتمُك كيف سُبي
فأعرضتْ ثُمّ قالتْ قد أسأتَ بنا ظنّاً،أيجملُ هذا من ذوي الأدبَ

ونلمح التمهيد المحبب للدخول لأحداث القصة الغزلية فيستعرض الزمان وقت الغروب ثم يلتقي بالشخصية المحورية بقصته (أم المجد) فهي مشفقة على العاشق الحائر الذي يريد ان يوصل أشواقه وحبه،فيضفي جانباً من التشويق بمحاولتها الإعراض عنه لسوء ظنه (أيجمل هذا من ذوي الأدب) ثم يسرد قصة عاشقاً، متجاذبا الحديث مع ساعية البريد أم المجد التي رقت لحاله واستجابة لشكواه وقبلت بإيصال رسالته قائلا: (٣٩)

فقلتُ أنّي امرؤٌ لما لقيتُكُم والمرءُ وقفُ على الأرزاءِ والنُّوبِ
سبت فؤادي ذات الخال قادرة ولا نصيب له منها سوى النصبِ
فقالت :اشكُ إليها ما لقيت ولا ترهب فلن تبلغ الآمال بالرهبِ
عسى هواك سيعديها فينصبها وقد يكونُ الهوى أعدى من الجربِ
فقلت:أعظمها،بل ما اكلمها إلّا أشار إليَّ الموتُ عن كتبِ
قالت إنا أتولى ذاك في لطف فقد أؤلف بين الماء واللهب
فقلت:مثلك من يرجى لمعضلة لا زلت في غبطة ممتدة الطنب

وتبدأ المرحلة الثانية من القصة بالحوار بين أم المجد الشخصية المحورية التي تؤدي دور الوساطة والشخصية الرئيسة (لذيذة) التي تدور أحداث القصة من حولها، فنجحت أم المجد بإقناعها بعد ما اخذت من

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤ – المجلد ٤٥ – كانون الأول لسنة ٢٠٢٠

أسلوبي الاستعطاف والرأفة بالعاشق سبيلا للوصول لقلبها ورضاها(٤٠)

قالتْ لها:يا لذيذَ الحسنِ صاحبُنا يهفو إليك فأضحى جدَّ مكتئبِ
صليهِ أو فاقتليه، فالحمامُ لَهُ خيرٌ من الجُهد في جدٍّ وفي تعبِ
فلو تراني قد* أستسلمتُ مرتقبا منها حنانَ الرضى أو جفوةَ الغضَبِ
حتى إذا ما ألانت تلك جانبها والقلب مهمأرم تسكينهُ يجب
طفقتُ ألثمُ كفيها وقد جَنَحتْ إليَّ تضحُك بين العُجْب والعجبِ

فقد تفوق الأعمى التطيلي بهذا الفن القصصي الغزلي الشعري على صاحبه الحصري القيرواني باكتمال عناصر القصة الغزلية، ولم نجد عند الحصري إلا حوارات قصيرة .

خامسا: الموشحات الغزلية عند الشاعرين

يعد الموشح أحد أبرز ملامح التجديد في الأدب الأندلسي فهو ثورة أندلسية تجديدية وإضافة مميزة بنكهة جديدة على نظام القصيدة العمودية و أوزان البحور الشعرية المعروفة للخليل بن احمد الفراهيدي وتلك النكهة الخاصة بشعراء الأندلس تمثل الحاضرة الأندلسية للإبداع والابتكار والتجديد فكانت الموشحات والأزجال تمثل شخصية الشاعر الأندلسي وحبه للإبداع والابتكار ،وأسباب انتشارها وازدهارها مجالس الغناء، والموسيقا، والطبيعة الخلابة، والاختلاط وحب التجديد من العناصر التي أثثت لبروز الموشحات فكان الغزل الموضوع الرئيس للموشح وقد اتّكأ موشح المديح على الغزل للوصول إلى مبتغاه .

لقد تميز الأعمى التطيلي بفن التوشيح فهو أبرز وشاحي الأندلس وأكثرهم إبداعا فهو رائدهم إذ مثّل عصر المرابطين الذي يعد العصر الذهبي للموشح فعنده سبع وعشرون موشحة في ديوانه في غرضي الغزل والمديح ولم نجد في ديوان الحصري القيرواني إلا موشحة واحدة في الغزل العفيف قائلا فيها: (٤١)

مَنْ علّق القرْطا في أذُنِ الشّعرى
وألحفَ المرطا الغُصُنَ النَّضرا
ألحسنُ مرجومُ عندي ومأثومْ
والطَّرفُ ظلومْ والقلبُ مظلومْ
وبأبي ريمْ يعشقُهُ الريمْ
أماتَني عبطا وما اتّقى الوزرا
لم أعرفِ الشّرطا فكنتُ مغترّا
قد همتُ في وسنانْ أُسد الشّرى يسبي
بلحظهِ الفتّان في معركِ الحربِ
على الظّبى سلطان بقدرة الرّب
سبحان من أعطى جفونك السحرا
والقبض والبسطا والنهي والامرا
علي ما أعدى سيوف عينيكا

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤ – المجلد ٤٥ – كانون الأول لسنة ٢٠٢٠

فمزج الحصري القيرواني بين جمال المرأة والطبيعة بلغة واضحة قريبة للعامية المتداولة بين الناس .

فعادة يقدم الموشح للغناء والمتعة ووصف المحبوبة وسحر عينيها ولوعته ومعاناته من صدها، فهي تحمل روح مرحة تداعب الجمال والطبيعة فقد أبدع في موشحته الغزلية بالرغم من أنّه لم نجد في ديوانه إلا موشحة واحدة ولم يبرز كما برز صاحبه الأعمى التطيلي فقد أجمع القدماء والمحدثون على أنّه من أبرز وشاحي الأندلس وأكثرهم شهرة ((ثم جاءت الحلبة التي كانت في مدة الملثمين ،فظهرت لهم البدائع ،وفرسا رهان لبتهم الأعمى التطيلي ويحيى بن بقي ... وكان في عصرهما من الوشاحين المطبوعين الأبيض ، وكان في عصرهم أبو بكر بن باجة))[٤٢]

ويصفه ابن خلدون بأنّه سابق فرسان حلبة الوشاحين في دولة الملثمين ويستشهد بنص متواتر عن المشايخ يورد فيه قصة جماعة الوشاحين الذين ((اجتمعوا في مجلس باشبيلية وكان كل واحد منهم اصطنع موشحه وتأنق فيها فتقدم الأعمى التطيلي للإنشاد،فلما افتتح موشحته المشهورة بقوله:

ضاحكٌ عن جمانْ سافرٌ عن بَدْر

ضاقَ عنهُ الزمانْ وحواهُ صدري

خرق ابن بقي موشحته وتبعه الباقون))[٤٣]وتلك شهادة بإجادة الأعمى التطيلي بفن الموشحات فكان مميزا بموشحته الغزلية التي كانت ترددها الجواري في مجالس الغناء فقد فاق صاحبه الحصري القيرواني في عدد موشحاته وجاذبيتها وجمال معانيها وأوصافها فاحتوت موشحاته الغزلية المعاني الحسية والعفيفة وكان ميدانا رحبا للهو والطرب والتمتع فقد أبهرت من اطلع عليها وتلقفها المغنون والجواري. وفي أغلب موشحاته يمزج بين وصف الطبيعة الأندلسية الخلابة وجمال المحبوبة فيقول في إحداها: [٤٤]

سطوةُ الحبيبِ أحلى من جَنَي النّـــــحل

وعلى الكئيبِ أنْ يخضعَ للـــــــــذلِّ

أنا في حروبِ مع الأعينِ النُّـــــجلِ

ليس لي يدانِ بأحـــــورَ فتّانِ من رأى جفونَه فقد أفسدتْ دينهْ

يَنبَغي التجنّي لمثلك فَي الإنسِ

لو قبلتَ منّي لتهتَ على الشمسِ

يا مُنى التّمنّي هَلـــــمَّ إلى الأُنسِ

أنتَ مِهرجاني وخدّكَ بُستاني غَطَّ ياسمينهْ إنَ الناسَ يجنونهْ

موشحات الأعمى التطيلي تمثل روح الإبداع والتجديد في الأدب الأندلسي وإحدى المميزات المهمة التي تميز بها عن الأدب المشرقي ،وبعد استعراض الغزل عند الشاعرين فهناك ظواهر مشتركة وأخرى مختلفة بينهما.

الخاتمة:

خلاصة نتائج الموازنة في شعر الغزل عند الشاعرين

برزت ظواهر مشتركة عند الشاعرين وأخرى مختلفة تميز بها أحدهما على الآخر ونبدا بالظواهر المشتركة عند الشاعرين:-

(١)كلاهما عنده الغزل بأنواعه العذري والحسي وغزل الغلمان والجواري .

(٢)كلاهما مزج بين وصف الطبيعة الخلابة وغزله بجمال المحبوبة وسحر عينيها وبيان مفاتنها.

(٣)كلاهما كان مقلدا في معانيه الأسبقين من شعراء المشارقة و الاندلسين ولكن بنكهة وإحساس وروح كل شاعر وأسلوبه الخاص به.

(٤)كلاهما كان عنده صدق العاطفة في غزله ، فالحصري تغزل بعاطفة صادقة فكان يصف محبوبته وأوصافها وجمالها في الأغلب الأعم في شعره لاسيما غزله العفيف فقد أحب زوجته حُبا شديدا كما بين صاحبي الديوان أما الأعمى التطيلي فنجد صدق عاطفته تتجسد بالحوار الغزلي الصادق مع جاريته لذيذة في ثلاث قصائد من أروع ما قيل بالحب، وقد أبدعا في غزلهما.

(٥)كلاهما تميز بألفاظه الواضحة، ومعانيه السهلة، وأسلوبه المنساب الرقيق.

(٦) كلاهما اتكأ على التراث الشعري وثقافته في استلهام معاني شعره وألفاظه في الغزل .

(٧)كلاهما تميز بتجسيم المعاني والرسم بالكلمات ونسج أروع الصور الشعرية من خلال وصف جمال الطبيعة وسحرها ومجالس الخمرة وملذاتها.

نقاط الاختلاف بين الشاعرين

(١)تميز الحصري القيرواني بوفرة إنتاجه الأدبي في شعر الغزل فله ديوان المخمسات والمعشرات ومقطوعاته الغزلية ومقدماته الغزلية .

(٢)تميز الحصري القيرواني بالترتيب في ديوانيه المخمسات والمعشرات فهما مرتبان على حروف الهجاء وتبدأ المقطوعة الشعرية وتنتهي بالحرف نفسه.

(٣)تميز الحصري القيرواني بقصيدة(ياليل الصبا) التي أُعجب بها القدماء والمحدثون وعارضه كثير من الشعراء.

(٤)تميز الأعمى التطيلي بمقدماته الغزلية والخمرية التي بلغت اثنتي عشرة مقدمة من أروع ماقيل في الغزل.

(٥)تميز الأعمى التطيلي بالقصة الغزلية فيعد مَنْ أبرز من تناول هذا الفن في عصر المرابطين ووجدنا حوار قصصي قصير عند الحصري القيرواني ولم تكتمل عناصر القصة الفنية عنده.

(٦)تميز الأعمى التطيلي بموشحاته الغزلية التي بلغت سبعاً وعشرين موشحة ووجدنا موشحة واحدة عند الحصري القيرواني في ديوانه.

الهـــــــــــــــوامـــــــــــش:-

١) ابو الحسن الحصري القيرواني ،محمد المرزوقي والجيلاني بن الحاج، ، مكتبة المنار- تونس١٩٦٣ ص ٢٠٩.
٢) ينظر دراسات في الشعر الأندلسي،د سعد إسماعيل شلبي،دار نهضة مصر للطباعة والنشر القاهرة، ص١٣٨.
٣) اتجاهات الشعر الأندلسي ،د نافع محمود ، ، دار الشؤون الثقافية العامة ط ١ /بغداد/ ١٩٩٠:ص ١٩٤.
٤) ينظر البناء الفني في شعر الغزل الأندلسي في القرنين الخامس والسادس الهجريين،ندى عسكر محمود الجبوري:ص٦.
٥) ابو الحسن الحصري القيرواني الجيلاني والمرزوقي : ص٢١٢.
٦) قراءات في الشعر الأندلسي،د. صلاح جرّار، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ،عمان-الأردن ،ط١/٢٠٠٧م: ص ١٣٠.
٧) ابو الحسن الحصري القيرواني الجيلاني والمرزوقي ص٢١٢.
٨) ابوعلي الحصري القيرواني المرزوقي والجيلاني، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة -قرطاج٢٠٠٨م : ص٢٠٨.
٩) ينظر شعر الغزل بين مسلم بن الوليد وابن عبد ربه الأندلسي،أفراح علي عثمان، ط١/٢٠١٤،الطباعة الالكترونية العراق- بغداد :ص١١١.
١٠) أبو الحسن الحصري القيرواني ، ص١٤٣.
١١)الموازنة بين الشعراء، دكتور زكي مبارك ،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ،القاهرة مصر ط /٢٠١٢:ص١١١
١٢)ديوان الأعمى التطيلي، تحقيق: محي الدين ديب،:ص ٢٢٥. بنت الزراجين* :الخمر، والزرجون*:العنب دارين*:موضع الشنب:البرود، المها*:البلور.
١٣)أبو الحسن الحصري القيرواني،ص١٠٨.
١٤)ديوان الأعمى التطيلي، المؤسسة الحديثة للكتاب-لبنان ،ط١ /٢٠١٤م:ص١٥٢.
١٥) المصدر نفسه:ص ١٥٢.
١٦)أبو الحسن الحصري القيرواني:ص ١٠٩.
١٧)ديوان الأعمى التطيلي :ص ١٥٧.
١٨) أبو الحسن الحصري القيرواني : ص ٢٢٣.
١٩) المصدر نفسه : ص٢٢٦.
٢٠) ديوان الأعمى التطيلي : ص١٥٧.
٢١)المصدر نفسه : ص٢٢٥.
٢٢)مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي ،د حسين عطوان ، دار المعارف، القاهرة مصر: ص١٢٨.
٢٣)أبو الحسن الحصري القيرواني: ص١١٣.
٢٤)المصدر نفسه:ص٢٤٥.
٢٥)ديوان الأعمى التطيلي :ص١٠٦.
٢٦)المصدر نفسه:ص٢٢٥.
٢٧)ينظر الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة،د منجد مصطفى بهجت، دار الكتب للطباعة والنشر جامعة الموصل(١٩٨٨م) :ص١٢٦.
٢٨)ابوالحسن الحصري القيرواني : ص١١٥.
٢٩)ديوان الأعمى التطيلي : ص١٨٥.

٣٠)المصدر نفسه: ص١٨٥.

٣١)ابوالحسن الحصري القيرواني : ص٢٣٤.

٣٢)ديوان الأعمى التطيلي : ص٢٦٥.

٣٣)أبو الحسن الحصري القيرواني : ص١١٢.

٣٤)المصدر نفسه : ص ١١٤.

٣٥)الشعر في عهد المرابطين والموحدين في الأندلس،د محمد مجيد سعيد: ص١٧٠.

٣٦) ديوان الأعمى التطيلي : ص٢٦٣.

٣٧)المصدر نفسه : ص ٢٦٢.

٣٨)ينظر تاريخ الأدب بالأندلس،إبراهيم علي أبوخشب ،دار الفكر العربي،مصر،ط١، ١٩٦٦: ص ٣٠٢.

٣٩)المصدر نفسه: ص٣٠٢.

٤٠)ينظر بلاغة العرب في الأندلس ،د.احمد ضيف، دار المعارف للطباعة والنشر ،سوسة–تونس ،ط٢/١٩٩٨م : ص١٨٥.

٤١)أبوعلي الحصري القيرواني : ص ٢٠٦–٢٠٧.

٤٢) ينظر ديوان الأعمى التطيلي : ص٢٢.

٤٣)الأدب العربي في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، عمر فروخ ، دار العلم الملايين ،ط/١ ،١٩٨٢: ص ١٦٢.

٤٤) ديوان الأعمى التطيلي : ص٢٨٨.

المصادر :-

١) أبو الحسن الحصري القيرواني ،محمد المرزوقي، والجيلاني بن الحاج يحيى ، مكتبة المنار –تونس ١٩٦٣.

٢) أبوعلي الحصري القيرواني المرزوقي والجيلاني، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة – قرطاج٢٠٠٨م.

٣) اتجاهات الشعر الأندلسي ،د نافع محمود ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد / ط١/ ١٩٩٠.

٤) الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، د. منجد مصطفى بهجت، دار الكتب للطباعة والنشر جامعة الموصل(١٩٨٨م).

٥) الأدب العربي في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، عمر فروخ، دار العلم الملايين ،ط/١ ، ١٩٨٢

٦) بلاغة العرب في الأندلس ، د. احمد ضيف ،دار المعارف للطباعة والنشر ،سوسة–تونس ،ط٢/١٩٩٨م.

٧) البناء الفني في شعر الغزل الأندلسي في القرنين السادس والسابع الهجريين، د ندى عسكر محمود الجبوري /٢٠٠٤.

٨) تاريخ الأدب بالأندلس، إبراهيم علي أبو خشب ،دار الفكر العربي،مصر،ط١، ١٩٦٦.

٩) دراسات في الشعر الأندلسي، د. سعد إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر القاهرة.

١٠)ديوان الأعمى التطيلي ، تحقيق : د محي الدين ديب ، المؤسسة الحديثة للكتاب–لبنان ،ط١ /٢٠١٤م.

١١)شعر الغزل بين مسلم بن الوليد وابن عبد ربه الأندلسي، أفراح علي عثمان،ط١/٢٠١٤، العراق–بغداد .
١٢)الشعر في عهد المرابطين والموحدين في الأندلس، د محمد مجيد سعيد، الدار العربية للموسوعات، ط٢/ ١٩٨٩.
١٣)قراءات في الشعر الأندلسي، د. صلاح جرّار، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ،عمان–الأردن ،ط١/ ٢٠٠٧م.
١٤)مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي ،د حسين عطوان، دار المعارف، القاهرة مصر.
١٥)الموازنة بين الشعراء، دكتور زكي مبارك، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ،القاهرة مصر ط /٢٠١٢